مركز الأمير عبد المحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية



ثقافة الروح

أ.د. سارة بنت عبد المحسن بن جلوي آل سعود
الرئيس العام لمركز الأمير عبد المحسن بن جلوي
للبحوث والدراسات الإسلامية

سلسلة الكتب
(٢)

ح مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية،١٤٢٧هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل سعود، سارة بنت عبد المحسن بن جلوي
ثقافة الروح / سارة بنت عبد المحسن بن جلوي آل سعود
الشارقة، ١٤٢٧ هـ

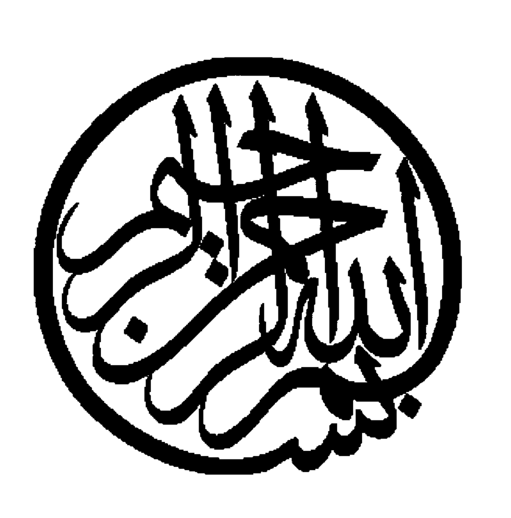
٣١ ص : ٢٤ سم - (سلسلة الكتب، ٢)

ردمك: ٧-٦٣٠-٥٦-٩٩٦٠

١- الثقافة الإسلامية ٢- الفكر الإسلامي أ. العنوان ب. السلسلة
ديوي ٢١٤ ١٤٢٧/٥٦٧٨

الشارقة - ص.ب ٤١١١٦ ،الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٥٧٧٦٠١٨(٩٧١٦)
فاكس: ٥٧٧٦٥٥٧(٩٧١٦)
www. Jalawicenter.com
الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٥٦٧٨
ردمك: ٧-٦٣٠-٥٦-٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل..

لقد شاع استعمال لفظ (الثقافة) في هذا العصر شيوعاً كبيراً في مجال : الحديث، والمحاضرات، والندوات، والمؤتمرات. وبتنا نسمع عن أنماط مختلفة من الثقافة فهنالك : الثفافة الغربية، والثقافة العربية، والثقافة الإسلامية، والثقافة الشرقية، والثقافة المادية، والثقافة الروحية،وغيرها.

إن هذا الشيوع لهذه الكلمة أسبغ عليها أهمية قصوى في أذهان الناس وحياتهم مما أصبح دافعاً لكثير منهم في أن يسعى للحصول على لقب (مثقف)، بغض النظر عن حقيقة هذه الثقافة وطبيعتها. واختلط معنى الثقافة بمعنى العلم عند الكثيرين بحيث أصبح الحصول على درجة علمية معينة، أو التخصص في مجال ما، تؤهل صاحبها لحمل لقب (مثقف) حتى وإن كان أبعد ما يكون عن الثقافة.

وبات حمل، هذا اللقب ضرورة من ضرورات الوجاهة الاجتماعية وبطاقة للدخول في عالم الأهمية في هذا العصر.

وعلى الرغم من شيوع هذا المصطلح وأهميته في حياة الناس، وكثرة المؤتمرات، والمحاضرات، والبحوث التي تدور حوله، إلاأن المعنى الدقيق له، وتعريفه مازال غامضاً، وهذا بإجماع إحدى لجان المؤتمر العالمي الثاني الذي نظمته اليونسكو للبحث في السياسات الثقافية، والمنعقد في المكسيك في الفترة من ٢٦ يوليو إلى ٦ أغسطس ١٩٨٢م [١].

وأنا هنا لن أتعرض لمعنى الثقافة ومدلولها [٢]، لكني سأركز على نقطة غاية في الأهمية، تتعلق بصلب موضوع هذه الورقة (ثقافة الروح).

(١) عمر سليمان الأشقر (د)، نحو ثقافة أصيلة، ص ١٧.

(٢) انظر في المعنى اللغوي والاصطلاحي: سارة بنت عبد المحسن (د)، الثقافة الإسلامية ومدى تأثيرها في الفكر المعاصر ص ص ٧-١٠.

إن الثقافة أياً كان نوعها، وتوجهها فإنها تعني التراث الحضاري والفكري في مجالاته المختلفة : النظرية والعملية، الذي تمتازبه الأمة، وهذا التراث بمعناه الشامل، هوالذي يشكل الإطار العام الذي ترسم من خلاله صورة الفرد والمجتمع: بمفهوماته، ومعتقداته، وأخلاقياته ؛ بل بأسلوب حياته بشكل عام. فالفرد يتشرب ثقافة مجتمعه منذ سني طفولته الأولى، ومن خلال ذلك تتشكل ملامح شخصيته وعقليته ونفسيته بما تقوم عليه من أسس وأصول ومبادىء .

وهذه الحقيقة قد أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) [1]

إذاً فشخصية الفرد وكينونته كلها انعكاس حقيقي لنوع الثقافة التي استقاها، بصلاحها وفسادها، بخيرها وشرها.

والفيصل الذي تحدد من خلاله مسألة الخير والشر والصلاح والفساد في الثقافة – من وجهة نظرنا–، هو مدى ارتباط هذه الثقافة بالأساس الديني الصحيح المبني على الإيمان بالله والتمسك بشرعه

وهذه خاصية اتسمت بها الثقافة الإسلامية من بين سائر الثقافات الإنسانية الموجودة، لأنهاقد صبغت بالصبغة الربانية، بمعنى أنها الثقافة التي تقدم للإنسان (مجموعة المعارف والتصورات والمقومات الفكرية والخلقية، والعلوم النظرية، من خلال رؤية إسلامية، مبنية على أسس عقدية وتشريعية قوية تشكل شخصية الفرد وعقليته، وتسبغ عليها طابعاً مميزاً، يستقيم معه اعتقاده، وفهمه، وعمله، وسلوكه، وخلقه، ويصح بها تصوره للحياة والعالم. والعصر)[2]، وقبل ذلك كله علاقته بخالقه .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التفسير ٦٥، تفسير سورة الروم (٣٠)، باب لا تبديل لخلق الله (٤٧٧٥)، ٥١٢/٨؛ كتاب القدر ٨٢، باب (الله أعلم بما كانوا عاملين ٣ (٦٥٩٩)، ٤٩٣/١١؛ صحيح مسلم بشرح النوري، م٨، كتاب (البر والصلة والآداب) ج١٦، باب معنى (كل مولود يولد على الفطرة) ص ص ٢٠٩-٢١٠.

(٢) سارة بنت عبد المحسن (د) الثقافة الإ سلامية ومدى تأثيرها في الفكر المعاصر، ص ١٠.

إنها منهاج الحياة المتكامل، والأسلوب الذي يحيا به الفرد والأمة، بغض النظر عن طبيعة التخصص أو التوجه .

فالإسلام يفرض على الأمة أن تكون أمة : مثقفة، مدركة، واعية، لأن هذا هو الذي يتفق مع حقائق هذا الدين : العقدية، والتشريعية، والأخلاقية. بتفاصيلها الدقيقة وأصولها العميقة.

وبعد هذا، هل يصلح أن نطلق على الثقافة الإسلامية أنها ثقافة الروح؟. الإجابة في تصوري هي لا. لأننا لو قبلنا هذه التسمية أو هذا الوصف، فكأننا قصرنا دور الثقافة الإسلامية على تنمية الجوانب الروحية في الإنسان وتهذيبها فقط، وفي هذا تضييق كبير لحقيقة أبعاد الخصائص العامة للإسلام، فهو دين شمولي، يستوعب الجوانب المختلفة لكينونة الإنسان (بل الإنسانية) كلها : الروح، والعقل، والنفس، والجسد، وغيرها، فهو المعنوية، والعلمية، والعملية، والروحية والعقلية.

الفصل الأول

الثقافة الإسلامية غذاء الروح

فالثقافة الإسلامية تغذي الروح، وتبني الفكر، وتهذب الأخلاق، وتقوم المسار، وتجعل الإسلام بعقائده، وقيمه، ومبادئه، وأخلاقياته، وأحكامه التشريعية والفقهية، هو الحاكم الذي يحكم حياة الفرد، والمجتمع، والأمة، ويضبطها ضمن الإطار الذي يحقق الهدف الذي خلق الإنسان من أجله وهو العبودية المطلقة لله وحده ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ. مَآ أُرِيدُ مِنهُم مِّن رِّزقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطعِمُونِ﴾ [1].

فالإسلام يربي المسلم على أنه خلق من أجل غاية عظمى، وهدف نبيل، لم يخلق عبثاً، ولم يوجد سدىً. ﴿أَفَحَسِبتُم أَنَّمَا خَلَقنَاكُم عَبَثاً وَأَنَّكُم إِلَينَا لا تُرجَعُونَ﴾ [2].

لذا، فلابد له أن يتمثل أبعاد هذه الغاية، وهذا الهدف ويستحضرهما في كل لحظة من لحظات حياته. ومن خلال تحقيق العبودية الصادقة لله، يستطيع الإنسان أن يعمر هذا الكون بصورة متكاملة متوازنة لا يطغى فيها جانب على آخر، كما هو حادث في الحضارة المعاصرة التي طغى فيها الجانب المادي على حياة الناس وعقولهم، ومشاعرهم، وتعاملهم. مما أحدث الخلل، وفقدان التوازن على مستوى الفرد والجماعة، وأدى في النهاية إلى ظهور صور مريعة من الظلم والعدوان، وتسلط القوي على الضعيف.

إن هذا الاضطراب الذي اتسم به هذا العصر لم يسلم منه المسلمون بل لا أبالغ إن قلت بأنهم كانوا أكثر الفئات تأثراً به، ومعاناة منه في الوقت نفسه، حتى لتكاد موجة (المادية) العاتية الطاغية، أن تبتلع البقية الباقية من إيمان الأمة وتماسكها، فقد ضعفت صلة القلوب بالله، والحياة بالروح، والمجتمع بالأخلاق، وفقد الإخلاص، وانتشرت الأمراض الباطنة، واعتلت القلوب والنفوس [3].

(١) سورة الذاريات : الآيتان (٥٦ - ٥٧).

(٢) سورة المؤمنون : آية (١١٥).

(٣) انظر : أبوالحسن الندوي، ربانية لا رهبانية، ص ١٤.

ومرجع ذلك في الواقع هو انسلاخهم الجزئي أو الكلي عن المفهوم الحقيقي للدين والثقافة الإسلامية. فهم قد ابتعدوا عن مر جعيتهم الإسلامية الحقيقية لاستقاء الثقافة الصحيحة التي تمدهم بالتوازن، والثبات، والتحرر الوجداني من الشعور بالنقص، أو العجز، أو الدونية تجاه الآخرين، وكذلك التحرر العقلي من قيود الهوى والشهوات وتحكم المطامع والأهواء .

فالثقافات والعلوم والمعارف لا تستطيع وحدها أن ترتقي بالإنسان وتنفعه، إذا ما كان داخله : عقله، وفكره، وروحه، مصاباً . فالإصابة هي ضياع الهوية الحقيقية للإنسان، وغفلته عن مصيره، وعدم ترسخ معنى كونه عبداً لله في داخله، وهذه هي مشكله المثقف المعاصر .

إن هذه المشكلة التي تعاني منها الثقافة المعاصرة بمختلف توجهاتها، التي فشلت في أن تقدم للإنسان الراحة النفسية، والرضى الداخلي، والشعور بالأمن والاطمئنان، على الرغم من رفاهية العيش، وتقدم العلم الذي هيأته (إنك تشعر فيها بفراغ هائل لا يملؤه التبحر في العلم، ولا التعمق في التفكير، ولا فضل من ذكاء، ولا غنى من أدب، ولا نسب قريب بلغة الكتاب والسنة، إنها أزمة روحية وخلقية لا علاج لها، ومشكلة من أدق مشكلات المجتمع لا حل لها)

هذه المشكلة قد حلها الإسلام منذ لحظة إشراقه على هذه الأرض، فقد ملأ الفراغ في داخل الإنسان، والفراغ في واقع حياته ومجتمعه، بتحقيق التوازن التام في داخل الإنسان، وبين الإنسان والمحيط الذي يوجد فيه، فيعيش الإنسان منسجماً مع نفسه، ومع غيره، لأنه يأمر الإنسان أن ينتبه إلى فطرة العبودية لله ،ويوقظها ، ويضعها في الحياة والسلوك موضع التنفيذ فالإنسان إذا عرف ربه، عرف نفسه، وعرف هويته، وأدرك علاقته بالناس، والحياة، والكون.

(١) المرجع السابق ،ص ١٥.

ومن هنا كان منهاج الإسلام: توحيد ذات الإنسان بين الجسد والروح، وما يربطهما من قيم وأخلاق. وبين العقل والعاطفة، وما يحكمهما من علم وحكمة، وبين العقيدة والإيمان، وما يصدقهما من عمل لا ينفصل أحدها عن الآخر.

إنه يربط الفرد بالمجتمع بالوجود بالله ويرفعه دائماً إلى التسامي، والارتقاء إلى المثل الأعلى، وهذا لا يتم إلا من خلال أطر سلوكية وأخلاقية محددة، تحيي الضمير الديني. يقول الشيخ محمد الغزالي: (وقد صالح الإسلام في تعاليمه بين مطالب الجسد ومطالب الروح، وبين واجبات الدنيا وواجبات الآخرة، فكان الإنسان - بعد هذا الصلح الذي عقده الإسلام - كياناً واحداً يستقبل به عالماً ليست فيه فواصل بين الموت والحياة، وتوضيحاً لهذا المنهج الوسط قيل لكل إنسان (وَابْتَغِ فِيماَ آتاَكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَة وَلَاتَنَس نَصِيبَكَ مِنَ الدُنيَا وَأَحسِن كَمَا أَحسَنَ اَللهُ إِلَيكَ وَلَاتَبغِ الفَسَادَ فِي الأَرضِ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُ المُفسدِين)
الإسلام إذن انفصال بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، فإن العمل للدنيا بطبيعته يتحول إلى عبادة مادام مقروناً بشرف المقصد وسمو الغاية)[٢]

وفي تعامل الإسلام مع الإنسان نجده يعالج الكائن البشري معالجة كاملة شاملة، لا تترك شيئاً ولا تغفل عن شيء، يتناوله كله بالصورة التي خلقه الله عليها. وهو في الوقت نفسه (يؤمن فيه بكل جوانب الإنسان : جسمه وعقله، وروحه، ومطالب كل جانب وطاقاته، يؤمن كذلك بوحدة الكيان البشري، واتصاله، واستحالة فصل جانب منه عن جانب في الفطرة السوية التي تسير على نهجها الذي خلقه الله)[٣] .

(١) سورة القصص : آية (٧٧).

(٢) الجانب العاطفي من الإسلام، ص١٠٤.

(٣) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج ١،ص ص٢٣-٢٤

ومن خلال هذا التعامل وهذه النظرة الكلية للإنسان فإن الإسلام يحقق له توازن طاقاته: طاقة الجسم، وطاقة العقل، وطاقة الروح، وكذلك التوازن بين المعنويات والماديات في الإنسان نفسه، توازن بين ضروراته وأشواقه، بين حياته الواقعية، وحياة الخيال، توازن بين الإيمان بالواقع المحسوس، والإيمان بالغيب، بين النزعات الفردية، والنزعات الجماعية، وتوازن في النظم الاقتصادية، والاجتماعية والسياسية [١]. ولكي يتحقق ذلك بصورته الصحيحة الكاملة فلا بد أن يستكمل الفرد عناصر الثقافة الإسلامية بمفهوماتها الصحيحة وأبعادها الأصيلة، وبالقدر الذي يناسب قدراته، وتوجهاته، وطبيعة وظيفته في الحياة .

يقول الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي: (إن الجميع أفقر ما يكونون إلى تربية إيمانية صادقة، تغسل قلوبهم من حب الدنيا . ومن حب أنفسهم، وتأخذ بأيديهم إلى الله تبارك وتعالى، وتحررهم من العبودية للأشياء والأهواء، وللأوهام، ليعتصموا بالعبودية لله وحده، وبذلك يطهرون عقولهم من الشرك، وقلوبهم من النفاق، وألسنتهم من الكذب، وأعينهم من الخيانة، وأقوالهم من اللغو، وعبادتهم من الرياء، ومعاملاتهم من الغش، وحياتهم من التناقض) [٢] .

وهذه الثقافة التي يحتاجها الفرد يمكن تقسيمها إلى قسمين اثنين لا يغني أحدهما عن الآخر بل لابد أن يكمل كل واحد منهما الآخر ويحققه.

---

(١) المرجع نفسه، ج١،ص ص ٢٧- ٢٨.

(٢) الحياة الربانية والعلم، ص ١٨.

الفصل الثاني

مكونات الثقافة الإسلامية

مكونات الثقافة الإسلامية

أولاً: العقيدة

الحياة الروحية (الربانية) في الإسلام تتسم بخصائص تميزها عن أي خصائص في أي دين، أو مذهب، أوفلسفة أخرى. فهي ترتكز على تأصيل الأبعاد العقدية في عقل الإنسان ووجدانه حتى يتشبع بها وتصبح جزءاً من بنيته العقلية والنفسية، والوجدانية، ومن ثم تنعكس على حياته العملية، وتصرفاته السلوكية.

فالعقيدة هي الركيزة الأساسية التي تبنى عليها المبادئ والشرائع التي تحكم الحياة وتنظمها، وهي الوجه الحقيقي لمسيرة الحياة الإنسانية بأبعادها: المعنوية، والمادية، والعملية، والأخلاقية. وهي تقوم على قاعدة أصيلة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل وهي قاعدة الإيمان بالله . والإيمان بالله لا يقصد به إيمان المعرفة فقط، أو إيمان التقليد فقط، لكنه الإيمان الصادق، الحقيقي الراسخ، المبني على أساس إفراد الله بالربوبية، وإخلاص التوحيد له، بلاشريك، وتحقيق العبودية التامة الكاملة له وحده، وترسيخ معاني الإيمان الحقيقية في الواقع، وفي العقيدة التي يقوم عليها الفكر ونشاط الحياة، والحركة [1] (قُل إنَّ صَلاَتي وَنُسُكي وَمَحَيايَ وَممَاتِي لِله رَبِّ العَالَمِين. لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبذَلِكَ أُمِرتُ وَأنَا أَوَّلُ المُسلمين)

(١) سارة بنت عبدالمحسن (د)، السطحية وغياب الهدف، ص ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ١٦٢-١٦٣ .

وهذا الإيمان ينبغي أن يكون جازماً، عن بصيرة، وبينة تلزم صاحبها أن يقوم بمقتضياته [١]، (وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعبُدُوا اَللَّه مُخلصِينَ لَهُ الدِين حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ وَذلِكَ دِينُ القَيِمَة) [٢]

ومن أجل الوصول إلى حقيقة الإيمان لابد من تحقيق نوعي التوحيد ، توحيد المعرفة والإثبات والاعتقاد، وتوحيد الطلب والقصد والإرادة[٣]. ومن خلال هذين النوعين من التوحيد، يتحقق المعنى الحقيقي للعبودية الصادقة لله وحده، بما تقتضيه (عبادة) من معان قلبية، وعملية، تعين الإنسان على الانعتاق من العبودية لغير الله، بشراً كان، أم حظاً من حظوظ الدنيا، أم ميلاً قلبياً، قد يوقعه في الشرك الذي يحبط عمله، ويضيع جهده، وهو الذي أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: (إن أخوف ما أتخوف على أمتي الإشراك بالله. أما أني لست أقول يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً، ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة خفية)

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعقيباً على ذلك: (وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقَلَ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله، أو نوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه، فقد أشرك في نيته وإرادته) ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل) [٦]، ومن صور الإشراك، وصرف العبودية لغير الله التي يقع فيها كثير من المسلمين:

(١) لمزيد تفصيل أنظر : سارة بنت عبدالمحسن (د)، المسلم المعاصر بين المعية والمسؤولية، ص ١٢٠وما بعدها.

(٢) سورة البينة : آية (٥).

(٣) توحيد المعرفة والإثبات والاعتقاد هو: توحيد الربوبية، ونفي الشريك عن الله في صفات الربوبية الحقيقية، وتوحيد الأسماء والصفات. وتوحيد الطلب والقصد والإرادة هو: توحيد الألوهية، والعبادة، أي إفراد الله بالعبادة .

(٤) ابن ماجه، السنن، م٢/ كتاب الزهد ٣٧/باب الرياء والسمعة ٢١/٤٢٠٥/١٤٠٦.

(٥) الداء والدواء، ص ٢٠٨؛ ولمزيد تفصيل حول الموضوع، أنظر: سارة بنت عبدالمحسن (د)، المسلم المعاصر بين المعية والمسؤولية.

(٦) الفتاوى، م١٠/ ص ٢١٣.

١ - المحبة :

فمن وجه حبه وذله، وخضوعه إلى غير الله وبالصورة التي ينبغي أن لا تصرف إلا لله فقد أشرك. قال تعالى (وَمِنَ النّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِ اَللهِ)[١]

٢ - الخشية والخوف :

فمن خاف من غير الله، أو خشيه ظاناً أنه يقدر على أن يصيبه بضر أو مكروه بمشيئته الخالصة، وقدرته الشخصية، فقد وقع في الشرك الأكبر .
لأن الخوف لا يقصد لذاته، وإنما لغيره، وهو بهذه الحالة اعتقد النفع والضر في غير الله (فَلاَ تَخَافُوهُم وَخَافُونِ إن كُنتُم مُؤمِنِين) [٢]، (فَلاَ تَخشَوُا الّناسَ وَاخَشونِ)

ومسألة الخشية والخوف من غير الله من المسائل التي استهان بها كثير من المسلمين حين اعتقدوا أن الضر والنفع بيد غير الله فكان ما كان من السكوت عن الحق، وتفشي الظلم، وانتشار المفسدة وغيرها[٤]

٣ - الرجاء والرغبة :

لما كان الأمر والملك بيد الله وحده، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فعلى المسلم أن يتوجه برجائه ورغبته إلى الله

---

(١) سورة البقرة : آية (١٦٥) .

(٢) سورة آل عمران : آية (١٧٥) .

(٣) سورة المائدة : آية (٤٤).

(٤) الخشية : خوف يشوبه تعظيم، وهو يكون في أمر معلوم، وهو أخص من الخوف.
الخوف : توقع مكروه عن أمارة مظنونة، أو معلومة. للتوسع أنظر : سارة بنت عبدالمحسن (د)، المسلم المعاصر بين المعية والمسؤولية، ص ١٥٧ وما بعدها.

وحده فيما لا يقدر عليه إلا هو (قُلِ اللَّهُمَ مَالِكَ المُلكِ تُؤتي المُلكَ مَن تَشاءُ وتَنزِعُ المُلكَ مِمَّن تَشاء وَتُعِزُ مَن تشاءُ وَتُذِلُ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْر إنَّكَ عَلى كُلِ شَيءٍ قَدير)[1].

٤ - التوكل :

وهو الاستسلام لله وتفويض الأمر إليه، اعتماداً عليه، ووثوقاً به وتيقناً بأنه وحده القادر على تحقيق المراد (وَعَلَى اَللهِ فَتَوكَّلُوا إن كُنتُم مُّؤمِنِين)

فمن ركن إلى الخلق واعتمد عليهم في قضاء حاجاته، وتدبير أموره، وتذليل الصعاب، ونصره، وتوكل عليهم في أمور لا يقدر عليها، ولا يملكها حقيقة إلا الله، معتقداً بأن الأمر بيدهم حقيقة لا سبباً فقد أشرك (إنّي تَوَكَّلتُ عَلَى اللَّه رَبّي وَرَبِكُم مَا مِن دَآبَّةٍ إلا هُوَ آخِذُ بِنَاصِيتِهَا إنَّ رَبي عَلَى صِرَاطٍ مُستَقيم)[3]

٥ - المراقبة و المحاسبة :

إن الإيمان الحقيقي الصادق إذا ترسخ في النفس، فإنه يحقق لصاحبه شروط العبودية الصادقة لله، وينمي في داخله الشعور بالمسؤولية تجاه : ربه، ونفسه، والإنسانية جميعاً، وهي مسؤولية من نوع فريد، لا ترتبط بالعوامل الخارجية، أو الرقابة الإنسانية التي قد تغيب وتحصر، وقد تقوى وتضعف، تبعاً لوجود الرقيب وقوته، لكنها مسؤولية نابعة من داخل الإنسان نفسه، مرتبطة باستحضاره الدائم

(١) سورة آل عمران : آية (٢٦).

(٢) سورة المائدة : آية (٢٣).

(٣) سورة هود : آية (٥٦).

لمعية الله له (وَهُوَ مَعَكُم أَينَ مَا كُنتُم واَللهُ بِمَا تَعمَلونَ بَصِير) (١)، واستشعاره الدائم لمراقبة الله له، تلك المراقبة التي لا تنقطع لحظة واحدة (إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيباً) (٢)

إن هذه الرقابة تجعل الإنسان يتقي الله حق التقوى، ويخشاه حق الخشية، ويطيعه في السر والعلن، ويخلص له في القول والعمل،، وفي الخلوة والمخالطة، فيصلح سره وعلانيته، ويكون ظاهره صورة لباطنه (٣) .

(إن فهم الإنسان لحقيقة الحياة، وعلم الله تعالى ورقابته على البشر، والتوافق النفسي بين الإيمان والتصرف، يولد لدى الإنسان شعوراً حساساً، يزن به جميع الأمور، ويصدر عنه في أخلاقه وتصرفاته، مما يكون لديه الضمير الأخلاقي، والوجدان الأخلاقي، ورقابة ذاته على ذاته، ومحاسبة نفسه بنفسه قبل أن يحاسب، وهذا ما يسمى بالرقابة الذاتية لدى الإنسان المسلم) (٤)

والخلاصة..

أن الحياة الإيمانية الروحية الحقيقية في الإسلام تقوم على التوحيد الخالص لله، الذي يرتكز على عناصر أربعة هي:

أ - ألا يبتغي الإنسان رباً غير الله (قُل أَغَيرَ اَللهِ أبغِي رَبَّاً وَهُوَ رَبُ كُل شَيءٍ) (٥)

ب - ألا يتخذ ولياً غير الله (قُل أَغَيرَ اَلله أَتَخِذُ وَلياً فاطِرِ السَموَاتِ وّالأَرض) (٦)

ج - ألا يبتغي حكماً غير الله (أَفَغَيرَ اَللهِ أَبتَغِي حكَماً وَهُوَ الذِي أَنزَلَ إِليكُم الكِتَابَ مُفَصَّلاً) (٧)

---

(١) سورة الحديد : آية (٤).

(٢) سورة النساء : آية (١)

(٣) لمزيد من التفصيل أنظر : سارة بنت عبد المحسن (د)، المسلم المعاصر بين المعية والمسؤولية، ص ١٩١ وما بعدها.

(٤) أحمد رجب الأسمري (د)، فلسفة التربية في الإسلام، ص ٤٥٣.

(٥) سورة الأنعام : آية (١٦٤).

(٦) " " : آية (١٤).

(٧) " " : آية (١١٤).

د - ألا يبتغي غير رضى الله وحده (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمحَيايَ وَممَّاتي لِله رَبِّ العالَمين. لاَ شَرِيكَ لهُ وَبذَلكِ أمرتُ وَأَنَاَ أَوَل المُسلِمِين)

وهذا هو معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من التمس رضا الله بسخط الَناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس)

وهذا يعني أن من تحقق بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، فقد أخرج من قلبه كل ما سوى الله يقول ابن رجب الحنبلي : (فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرج منه كل ما سوى الله : محبة وتعظيماً، وإجلالاً ومهابة، وخشية وتوكلاً، وحينئذٍ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها وإن كانت مثل زبد البحر) [٣].

قال تعالى (إِنَّ اللهَ لاَ يَغفِرُ أَن يشُرَك بِهِ وَيَغفِرُ مَادُون ذَلِكَ لِمَن يشَاَءَ وَمَن يُشرِك بِاللهِ فَقَدِ افترَى إِثماً عَظِيماً) [٤]

ثانياً: العلم بأحكام الشريعة

وهي تشمل أحكام العبادات، والمعاملات، والأخلاق، والحلال والحرام، وأحكام الولاء والبراء، وأن الحكم لله وحده، وغيرها من الأحكام الشرعية التعبدية، والتنظيمية التي شرعها الله لخلقه، والتي لا تستقيم حياة الفرد والمجتمع والأمة إلا بتطبيقها والعمل بها و الاحتكام إليها، لأنها الصورة العملية الحقيقية للإيمان الصادق الراسخ بالله وحده، وهي وحدها الكفيلة بتحقيق السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة.

ومن ثم فإنه يمكن تحديد الأمور التي ينبغي على المسلم معرفتها لتكون

(١) سورة الأنعام: الأيتان ١٦٢-١٦٣.

(٢) الترمذي، السنن (الجامع الصحيح)، ج٤، كتاب الزهد ٣٧، باب (منه)/٦٤/٢٤١٤/٦١٠.

(٣) عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب النجدي الحنبلي، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٦١.

(٤) سورة النساء : آية (٤٨).

لديه الحصانة الثقافية التي تعينه على أن يحقق لنفسه ولمجتمعه وأمته السعادة والراحة والطمأنينة :

١ - معرفة ربه عز وجل، ونبيه، وصحة رسالة نبيه صلى الله عليه وسلم.

٢ - عقائد الإسلام الأساسية : الإلهيات، والنبوات، والغيبيات، يعرف ذلك من خلال كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بالبينات التي تقنع العقل، وتنير القلب، وتقوم التفكير بعيداً عن التقليد، والجدل.

٣ - أحكام الإسلام وشرائعه من علوم لا يستغني عنها مسلم أحكام العبادات : البدنية، والمالية.

٤ - أحكام الحلال والحرام في المجالات التي يتعرض لها المسلم في حياته اليومية مثل أحكام : المأكل، والملبس، والزينة، والبيت، والعمل، والأسرة والمجتمع.

٥ - أحكام الأخلاق والآداب العامة، التي تعين على ضبط السلوك بضوابط الشرع، فلا يميل عن أمر الله، ولا يتجرأ على ما نهى الله عنه وهي ما يسمى بأحكام (التحلي والتخلي) أي : (التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل).

٦ - أن يعرف طريق الآخرة والسلوك إلى الله، فيعرف العوائق ليتجنبها، ويعرف الدوافع التي تقوي مسيره وتغذي اندفاعه وتبعث الخير في داخله.

وخلاصة ذلك أن تصل به هذه المعارف إلى أن (يزن أفكاره ومشاعره وأقواله، وأعماله، وعاداته، وسائر أموره بميزان الشرع)[1].

---

(١) يوسف القرضاوي أ.د.، الحياة الربانية والعلم، ص ١١٣.

فالفرد الذي ترسخ في داخله الإيمان الصحيح بأبعاده الربانية الخالصة، وعرف أحكام دينه العملي منها والقلبي، وأقامها على سلوكه، وأخلاقياته، وتعامله مع الآخرين، في علاقاته الخاصة، وفي علاقاته الاجتماعية واجتهد أن يؤدي عمله بصورة دقيقة متقنة، لأنه يعلم يقيناً أن العبادة لله تتسع حتى تشمل المجالات كلها، فكل أمر قصد به وجه الله، وأخلص فيه النية لله، واتبع فيه شرع الله ومنهاجه يتحول إلى عبادة في أي مجال كان : علمي، أو اقتصادي، أو سياسي، أو أدبي، وغيرها حتى شؤونه الشخصية الخاصة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسيره لمعنى العبودية : (العبادة اسم لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة)[1]، فقيمة التزام الفرد المسلم بشعائر الإسلام وأحكامه تكون في كونها منهاجاً يشمل الحياة كلها، قيمتها أن تكون خطة سلوك، وخطة عمل، وخطة فكر، وخطة شعور، قائمة كلها على منهاج واضح، يتبين فيه - في كل لحظة - ما ينبغي ومالا ينبغي أن يكون .

ومرد الأمور كلها في ذلك إلى الله، هو المرجع الذي يرجع إليه في كل أمر، ودستوره هو الدستور الذي يستشار في داخل القلب وفي وعي العقل وفي واقع السلوك[2] .

(١) الفتاوى، م١٠/ ص ١٤٩.

(٢) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية/١/ ص ص ٣٤ - ٣٥.

الخاتمة..

وخلاصة ما ننتهي إليه أن الإسلام بأبعاده الثقافية ، العقدية، والتشريعية، إنما يسعى لبناء الإنسان الصالح الذي ينشئ المجتمع الصالح، ويبني الأمة الصالحة، بالعمل الجاد، والسعي الدءوب، في أي مجال يشغله، ومهما كان نوع العلم الذي تعلمه، والعمل الذي يقوم به، لأنه ينطلق من منطلق إيماني صحيح، قائم على علاقة عميقة صحيحة بين المسلم وربه، علاقة تجلى فيها المفهوم الصحيح لحقيقة العبودية الخالصة لله، بأبعادها : القلبية، والبدنية، والمالية، وجعل الدنيا عنده معبراً للآخرة، يعمرها لا لذاتها، ولا لمكاسب معنوية، أو مادية، أو اجتماعية، وإنما تحقيقاً للغاية التي خلق لأجلها، وهي العبودية الخالصة لله، والهدف الأسمى بتمثلها حقيقة واقعية شاملة على الأرض، بها تحمل مسؤولية الأمانة التي أشفقت منها مخلوقات الله (إنَّا عَرضنَا الأَمَانَةَ عَلىَ السَّمَوَاتِ وَالأرض وَالجِبَالِ فَأبيَنَ أن يَحملِنَهَا وَأشفَقنَ مِنهَا وَحَمَلهَا الإنسَانُ إنّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) [1]

وبها قامت المسؤولية (فَمنَ يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ. وَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ شراً يَرَهُ) [2] . أمانة ومسؤولية زمانها اليوم وجزائها اليوم والغد (يَآ أيُهاَ الَّذِينَ آمَنُوا اتّقُوا اَللهَ وَلتَنُظر نَفس مَّا قدَّمَت لِغَدٍ وَاتَّقُوا الله إنَّ اَلله خَبِيرٌ بمَا تَعمَلُون. وَلَا تَكُونُوا كَالّذِينَ نَسُوا الله فَأنسَاهُم أنفُسهُم أولئِك هُمَ الفَاسِقُون) [3] .

(١) سورة الأحزاب : آية (٧٢) .
(٢) سورة الزلزلة : الآيتان (٧ - ٨) .
(٣) سورة الحشر : الآيتان (١٨ - ١٩) .

إن من نسي الله وحقيقة عبوديته له في غمرة انشغاله في هذه الحياة الدنيا علماً، وعملاً، ومقصداً وغاية، فإن الله سبحانه وتعالى يعاقبه بأن ينساه وينسيه نفسه، أما نسيان الله له، فيتمثل في إهماله، وتركه وتخليه عنه حتى وإن فتح له الدنيا، وأعطاه منها ما يشاء .

وأما نسيانه لنفسه، فإنه ينسيه أسباب سعادته الحقيقية، وفلاحه، وصلاحه في حياته ومعاشه بل وأخرته. ويعلق الإمام ابن القيم رحمه الله على هذه المسألة فيقول : (ومن تأمل هذا الموضع تبين له أن أكثر هذا الخلق قد نسوا أنفسهم حقيقة وضيعوها وأضاعوا حظها من الله، وباعوها رخيصة بثمن بخس بيع الغبن، وإنما يظهر لهم هذا عند الموت، ويظهر هذا كل الظهور يوم التغابن، يوم يظهر للعبد أنه غبن في العقد الذي عقده لنفسه في هذه الدار، والتجارة التي اتجر فيها لمعاده، فإن كل أحد يتجر في هذه الدنيا لآخرته

فالخاسرون الذين يعتقدون أنهم أهل الربح والكسب اشتروا الحياة الدنيا، واستمتعوا بها، ورضوا بها، واطمأنوا إليها، وكان سعيهم لتحصيلها، فباعوا واشتروا واتجروا، وباعوا آجلاً بعاجل، ونسيئة بنقد وغائباً بناجز، وقالوا : هذا هو الحزم) (١) .

قال تعالى (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشتَرَوُا الحَيَاةَ الدُنيَا بِالآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذَابُ وَلَا هُم يُنصَرُون) (٢) .

(١) الداء والدواء، ص ص ١٦١- ١٦٢ .

(٢) سورة البقرة : آية (٨٦) .

(يَوم يَبعَثُهُمُ اَللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِئهُمُ بِمَا عَمِلُوا أَحصَاهُ اللهُ وَنَسوُهُ وَاللهُ عَلىَ كُلِ شَيءٍ شَهِيد) [1] .

إذاً، فالإسلام في نظامه المتفرد، وثقافته المتميزة، يزرع في ضمير الفرد العقيدة الصحيحة، التي تنمو في سلوكه، وتتجسد في ظاهره ترجمة حقيقية حية، لبناء صحيح إيجابي يعمر الدنيا، ويرفع الحياة ويرتقي بها، ويحافظ عليها في أسمى قيمها، وأروع مبادئها، ويسخرها بما فيها كله، لبناء حضارة إنسانية راقية بمجالاتها المختلفة، وثقافاتها المتنوعة، وعلومها النافعة، بتوازن حقيقي، وتوفيق صادق بين متطلبات الحياة، ببصيرة ملؤها الإيمان. وروح منطلقة في رحاب الله لا تعرف قيداً، ولا يحدها حدود، مستضيئة بنور (لا إله إلا الله وحده لا شريك)، تنشئ الواقع، وتشكل الظروف، وتبني الحياة.

(١) سورة المجادلة : آية (٦).

ثبت المراجع

١ - أحمد رجب الأسمري (د).

فلسفة التربية في الإسلام، انتماء وارتقاء-ط١-الكويت : دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٢ - الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة.

الجامع الصحيح (السنن)، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر - د.ط-القاهرة:دار الحديث - د.ت -.

٣ - ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم.

مجموعة الفتاوى، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي -ط١-الرياض : مطابع الرياض ، د.ت .

٤ - ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي .

فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج : محب الدين الخطيب - د.ط - بيروت : دار الفكر - د.ت - .

٥ - أبو الحسن الندوي.

ربانية لا رهبانية - ط٤ - بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.

٦ - سارة بنت عبد المحسن بن جلوي آل سعود (د).

الثقافة الإسلامية ومدى تأثيرها في الفكر المعاصر - ط١ - ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م.

٧ - السطحية وغياب الهدف - ط١ -، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م.

٨ - المسلم المعاصر بين المعية والمسؤولية - ط١-، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م.

٩ - عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب الحنبلي.

فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، تحقيق وتخريج : عبد القادر الأرناؤوط - ط١ - بيروت، دمشق : مكتبة دار البيان، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م.

١٠ - عمر سليمان الأشقر (د).

نحو ثقافة إسلامية أصيلة - ط١ - بيروت : مكتبة الفلاح، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

١١ - ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبدالله محمد.

الداء والدواء، تحقيق و تعليق وتخريج : علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري - ط١ - الدمام : دار ابن الجوزي، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م.

١٢ - ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني.

السنن، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - د.ط - بيروت : دار إحياء التراث العربي ١٩٧٥م.

١٣ - محمد الغزالي.

الجانب العاطفي من الإسلام - ط١ - الإسكندرية : دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠م.

١٤ - محمد قطب.

منهج التربية الإسلامية - ط١٢ - القاهرة، بيروت : دار الشروق، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م.

١٥ - مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري.

صحيح مسلم بشرح النووي - ط٣ - بيروت : دار الفكر، ١٩٧٨م.

١٦ - يوسف القرضاوي (أ.د).

الحياة الربانية والعلم - ط١ - القاهرة : مكتبة وهبة، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥م.

الفهـــرس



للبحوث والدراسات الإسلامية

رغبة في خدمة الإسلام وتأصيل البحوث العلمية النافعة والجادة في مجالات الثقافة المختلفة ومجال الدراسات الإسلامية على وجه الخصوص.

ورغبة في الإسهام في عملية الارتقاء الفكري والنفسي لهذه الأمة، والعمل على تفعيل دورها في عملية البناء الحضاري، مع المحافظة على استقلاليتها الشخصية، وهويتها الإسلامية المتميزة.

كان إنشاء مؤسسة علمية مستقلة، غير هادفة للربح، تعمل على ترسيخ الهوية الإسلامية وركائزها الإيمانية في نفوس أبناء أمتنا لتحقق لهم الصفاء والنقاء وقوة الانتماء، من خلال حركة جادة تساعد في بعث الوعي الإسلامي، وإنجاز البحوث والدراسات وفق سليم العقيدة وقويم المنهاج.

ولتحقيق ذلك كان هذا المركز الخيري "مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية".

هاتف: ٠١٨‏٥٧٧٦‏-٦-٩٧١، فاكس: ٥٧٧٦٥٥٧-٦-٩٧١

ص.ب: ٤١١١٦ - الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

Tel: +971-6-5776018, Fax: +971-6-5776557

P.O.Box: 41116 - Sharjah - U.A.E. - webpage: www.jalawicenter.com

رقم الإيداع : ١٤٢٧/٥٦٧٨

ردمك : ٧ - ٦٣٠ - ٥٦ - ٩٩٦٠